# الحلقة (٣٧)

في هذه الحلقة نتحدث عن:

## ❁ توحيد الألوهية ❁

وغير خاف على من عنده أدنى إلمام بعلم العقيدة ما لتوحيد الألوهية من الأهمية فهو توحيد العبادة والعبادة هي الغاية المرضية والمحبوبة لله عز وجل وهي الغاية العظمى والمقصود الأسمى، فلأجلها خلقت الجنة والنار، وقام سوق الجهاد بين المؤمنين والكافرين، ولأجلها أنزلت الكتب وأرسلت الرسل (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)، ثم إن توحيد الألوهية دعوة جميع الأنبياء والمرسلين ومن اقتفى أثرهم من العلماء والدعاة والمصلحين.

**فتعريف توحيد الألوهية :عرفه العلماء بتعريفات متقاربة إلا أن بعضها قد يكون أطول من بعض**

**فمن تلك التعريفات:**

**إفراد الله بأفعال العباد، وإفراد الله بالعبادة، وإفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة قولا وعملا، ونفي العبادة عن كل ما سوى الله تعالى كائنا من كان.**

وعرفه ابن سعدي رحمة الله عليه تعريف جامع، جمع فيه حد هذا التعريف وتفسيره وأركانه فقال:

**"فأما حده وتفسيره وأركانه فهو أن: يعلم ويعترف على وجه العلم واليقين أن الله هو المألوه وحده، المعبود على الحقيقة، وأن صفات الألوهية ومعانيها ليست موجودة بأحد من المخلوقين ولا يستحقها إلا الله، فإذا عرف ذلك واعترف به حقا أفرده بالعبادة كلها الظاهرة والباطنة، فيقوم بشرائع الإسلام الظاهرة كالصلاة والزكاة، والصوم والحج والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبر الوالدين وصلة الأرحام، والقيام بحقوق الله وحقوق خلقه، ويقوم بأصول الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ولا يقصد به غرضا من الأغراض غير رضا ربه، وطلب ثوابه، متابعا في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعقيدته ما دل عليه الكتاب والسنة، وأعماله وأفعاله ما شرعه الله ورسوله، وأخلاقه وآدابه الاقتداء بنبيه صلى الله عليه وسلم في هديه وسمته وكل أحواله"** انتهى كلام الشيخ.

ويقول الشيخ حافظ حكمي رحمه الله عن هذا النوع في منظومته سلم الوصول:

هذا وثاني نوعي التوحيد***إفراد رب العرش عن نديد

أن تعبـد الله إلٰه واحدا***معترفا بحقه لا جاحداً

**هذا النوع من التوحيد له أسماء،** فيسمى **توحيد الألوهية** وسمي بذلك باعتبار إضافته إلى الله عز وجل أو باعتبار الموحَّد، والموحَّد هو الله عز وجل، ولأنه مبني على إخلاص التأله، وهو أشد المحبة لله وحده وذلك يستلزم إخلاص العبادة، ويسمى **توحيد العبادة** باعتبار إضافته إلى الموحِّد وهو العبد، ولتضمنه

إخلاص العبادة لله وحده.

الاسم الثالث **توحيد الإرادة** لتضمنه الإخلاص وتوحيد الإرادة والمراد، فهو مبني على إرادة وجه الله تعالى بالأعمال.

الاسم الرابع **توحيد القصد** لأنه مبنى على إخلاص القصد المستلزم لإخلاص العبادة لله وحده.

الاسم الخامس **التوحيد الطلبي** لتضمنه الطلب والدعاء من العبد لله عز وجل.

الاسم السادس **التوحيد الفعلي** لتضمنه لأفعال القلوب والجوارح.

الاسم السابع **توحيد العمل** لأنه مبني على إخلاص العمل لله وحده.

■ **وأهمية هذا التوحيد** :فهو أهم أنواع التوحيد فمن أجل تحقيقه أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، وفرق بين المؤمنين والكافرين، يقول الشيخ حافظ حكمي عن أهمية هذا النوع من التوحيد في منظومته:

وهو الذي به الإله أرسلا ***رسله يدعون إليه أوَّلا

وأنزل الكتاب والتبيان له***من أجله وفرق الفرقان

وكلف الله الرسول المجتبى*** قتال من عنه تولى وأبى

حتى يكون الدين خالصا له***سرا وجهرا دقه وجله

وهكذا أمته قد كلفوا بذا***وفي نص الكتاب وصفوا

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبينا أهمية توحيد العبادة: "وذلك أن العبادة لله وحده هي الغاية المحبوبة له، والمرضية له، التي خلق الخلق لها كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} وبها أرسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه: {اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}.

إلى أن قال وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه فقال تعالى: {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} وذم المستكبرين عنها بقوله: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}، ونعت صفوة خلقه بالعبودية له فقال سبحانه وتعالى: {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا} وقال سبحانه: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا}.

وقال رحمه الله عليه في موطن آخر: (واعلم أن فقر العبد إلى الله أن يعبد الله لا يشرك به شيئا ليس له نذير فيقاس عليه، لكن يشبه من بعض الوجوه حاجة الجسد إلى الطعام والشراب، وبينهما فروق كثيرة فإن حقيقة العبد قلبه وروحه، وهي لا صلاح لها إلا بإلهها الله، فلا تطمئن بالدنيا إلا بذكره، ولابد لها من لقائه، ولا صلاح لها إلا بلقائه، ولو حصل للعبد لذات أو سرور بغير الله فلا يدوم ذلك، بل يتنقل من نوع إلى نوع، ومن شخص إلى شخص، ويتنعم بها في وقت وفي بعض الأحوال،

وتارة أخرى يكون ذلك الذي يتنعم به ويلتذ به غير منعم ولا ملتذ له، بل قد يؤذيه اتصاله به ووجوده عنده فيضره ذلك.

وأما إلهه فلا بد له منه في كل حال وفي كل وقت وأينما كان فهو معه، ولهذا قال إمامنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام: {لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ} وكانت أعظم آية في كتاب الله {اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّوم }.

وقال رحمه الله: "فليس في الكائنات ما يسكن العبد إليه ويطمئن به ويتنعم بالتوجه إليه إلا الله سبحانه، ومن عبد غير الله وإن أحبه وحصل به مودة في الحياة الدنيا ونوع من اللذة فهو مفسدة لصاحبه أعظم من مفسدة التلذذ بأكل الطعام المسموم".

وقال: "واعلم أن كل من أحب شيئا غير الله فلا بد أن يضره محبوبه ويكون ذلك سببا لعذابه"، وقال: "فمن أحب شيئا لغير الله فالضرر حاصل له إن وُجد أو فقد، فإن فُقد عذب بالفراق وتألم، وإن وجد فإنه يحصل له من الألم أكثر مما يحصل له من اللذة، وهذا أمر معلوم بالاعتبار بالاستقراء، وكل من أحب شيئا دون الله لغير الله فإن مضرته أكثر من نفعه، فصارت المخلوقات وبالا عليه، إلا ما كان لله وفي الله، فإنه كمال وجمال للعبد، وهذا معنى ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه).

وقال الشيخ ابن سعدي رحمه الله مبيناً أهمية هذا النوع من التوحيد:"وهذا الأصل أعظم الأصول على الإطلاق وأكملها وأفضلها وأوجبها وألزمها لصلاح الإنسانية، وهو الذي خلق الله الجن والإنس لأجله، وخلق المخلوقات وشرع الشرائع لقيامه، وبوجوده يكون الصلاح، وبفقده يكون الشر والفساد، وجميع الآيات القرآنية إما أمر بحق من حقوقه، أو نهي عن ضده، أو إقامة حجة عليه، أو بيان جزاء أهله في الدنيا والآخرة، أو بيان الفرق بينه وبين المشركين" انتهى كلامه.

**ومما يدل على أهميته**: أن قبول الأعمال متوقف عليه، **وأنه يتضمن جميع أنواع التوحيد** فكلها تدخل فيه، فمن اعتقده فهو معتقد لغيره من توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، ومن اكتفى بغيره دونه لم يدخل في دين الإسلام.

هذا النوع من التوحيد له أدلته، فقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة وتنوعت دلالاتها في وجوب إفراد الله بالعبادة، فتارة تأتي نصوص الكتاب آمرة بتوحيد الله أمراً مباشراً، وتارة تأتي مبينة الغاية من خلق الجن والإنس، وتارة تأتي موضحة الهدف من إرسال الرسل وإنزال الكتب، وتارة تأتي محذرة من مخالفته، وتارة تأتي لبيان ثواب من عمل به في الدنيا والآخرة، وتارة لبيان عقوبة من تركه وتخلى عنه أو ناوأه وحارب أهله.

فمن تلك الأدلة من الكتاب :على وجوب إفراد الله بالعبادة قوله تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} وقوله تعالى: {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} وقوله تعالى:

{فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ} وقوله تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} وقوله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} وقوله تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاه} وقوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون} وقوله تعالى: {وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا} وقوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين} وقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُون} وقوله تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوت}.

ومن السنة: ما رواه الإمامان البخاري ومسلم وغيرهما عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: (كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي (يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟) قلت الله ورسوله أعلم قال: (حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا). قلت أفلا أبشر الناس، قال (لا تبشرهم فيتكلوا).

أما ما يتعلق بأركان هذا التوحيد فإنه يقوم على أركان ثلاثة ومنها : **الإخلاص والصدق وتوحيد الطريق**، وهذا تقسيم للشيخ ابن سعدي رحمه الله،

الركن الأول: **توحيد الإخلاص** يسمى **توحيد المراد فلا يكون للعبد مراد إلا مراد واحد وهو الله سبحانه وتعالى فلا يزاحمه مراد آخر.**

الثاني : **توحيد الصدق** ويسمى **توحيد إرادة العبد** وذلك بأن يبذل جهده وطاقته في عبادة ربه.

الركن الثالث : **توحيد الطريق، وهو المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم.**

يقول ابن القيم: في الواحد كن واحدا في واحد*** أعني سبيل الحق والإيمان

**فقوله في الواحد**: أي في الله وهو توحيد المراد، **وقوله كن واحداً** في عزمك وصدقك وإرادتك وهذا هو توحيد الإرادة، **وقوله في واحد** هو متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي هو طريق الحق والإيمان فهو توحيد الطريق.

والأدلة على هذه الأركان كثيرة، فمن أدلة الإخلاص قوله تعالى : {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين}.

ودليل الصدق قوله تعالى: {فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُم}، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِين}. ودليل المتابعة قوله تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّه}.

فمن اجتمعت له هذه الثلاثة نال كل كمال وسعادة وفلاح، ولا ينقص كمال العبد إلا بنقص واحد من هذه الأشياء.

☒توحيد الألوهية هو : توحيد العبادة

**وتعريف العبادة في اللغة** : هي التذلل والخضوع، فيقال طريق معبد أو بعير معبد أي مذلل ذللته الأقدام، ومنه قول طرفة بن العبد في معلقته المشهورة يصف ناقته:

تباري عتاقاً ناجيات واتبعت*** وظيفاً وظيفاً فوق مورٍ معبد

فقوله فوق مور معبد: أي فوق طريق معبد مذلل من كثرة السير عليه، فالمور هو الطريق.

**تعريف العبادة في الاصطلاح**

عرفت بعدة تعريفات منها: عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بأنها: **اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الباطنة والظاهرة.**

وعرفها ابن القيم رحمه الله: **بأنها كمال المحبة مع كمال الذل**، يقول في النونية:

وعبادة الرحمن غاية حبه*** مع ذل عابده هما قطبان

وعرفها الشيخ ابن سعدي رحمه الله بعدة تعريفات منها قوله: العبادة روحها وحقيقتها تحقيق الحب والخضوع لله، فالحب التام والخضوع الكامل لله هو حقيقة العبادة، فمتى خلت العبادة من هذين الأمرين أو أحدهما فليست عبادة، فإن حقيقتها الذل والانكسار لله، ولا يكون ذلك إلا مع محبته، والمحبة التامة التي تتبعها المحاب كلها.

وعرفها بتعريف ثان فقال: العبادة والعبودية لله اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من العقائد وأعمال القلوب و أعمال الجوارح، فكل ما يقرب إلى الله من الأفعال و التروك فهو عبادة، ولهذا كان تارك المعصية لله متعبد متقرب إلى ربه بذلك.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن العبادة تطلق إطلاقين: الفعل الذي هو التعبد والمفعول الذي هو المتعبد به أو القربة، مثال ذلك الصلاة فعلها عبادة وهو التعبد، وهي نفسها عبادة، وهي المتعبد به، فعلى الإطلاق الثاني تعرف العبادة بتعريف شيخ الإسلام، وعلى الإطلاق الأول تعرف بالتعريف الثاني والثالث.

أما التعريف الرابع الأعمال الصالحة الإرادية التي تؤدى لله تعالى، ويفرد بها، وهذا يشمل الإطلاقين أيضا.

**← الفرق بين العبادة وتوحيد العبادة**

الفرق بينهما ظاهر **فالعبادة هي ذات القربة أو فعلها، وأما توحيدها فصرفها لله وحده لا شريك له.**

**← متى تقبل العبادة ؟** لا تقبل العبادة إلا إذا توفرت فيها شرطان مهمان:

- **الشرط الأول: الإخلاص لله.**
- **والشرط الثاني: المتابعة لرسول الله** صلى الله عليه وسلم.

يقول شيخ الإسلام: "**وجماع الدين أصلان، ألا نعبد إلا الله ولا نعبده إلا بما شرع، ولا نعبده بالبدع، كما قال تعالى:** {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} **وذلك**

تحقيق الشهادتين، شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله، ففي الأولى أن لا نعبد إلا إياه، وفي الثانية أن محمدا هو رسوله المبلغ عنه، فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره، فمن أراد عبادة الله فلا بد له من توفر الشرطين، ولسان حاله يقول "إياك أريد بما تريد" يعني لله سبحانه وتعالى".

قال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعالى: {أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} قال "أخلصه وأصوبه" قالوا يا أبا علي: ما أخلصه وأصوبه؟ قال "إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا" والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة، فإذا فقد الشرطان أو أحدهما بطلت العبادة.